المحاضرة الثانية: رواد علم الاجتماع
ابن خلدون وأوغست كونت

عبد الرحمن بن خلدون 1332- 1406

يعتبر المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، من خلال دعوته في المقدمة لعلم يدرس العمران البشري. وهو علم يبحث في أحوال العمران والتمدن، وما تخضع له ظواهر الاجتماع الإنساني من قوانين، كما أنه علم مستقل بذاته، له موضوع خاص هو العمران البشري والاجتماع الإنساني.

خصائص الواقعات العمرانية:

واقعات قهرية.
لا تظهر صدفة.
تخضع لقوانين مشابهة للقوانين التي تحكم الظواهر الطبيعية.
تتصف بالتغير لذلك لابد من دراستها في حالتي الاستقرار والسكون.
يمكن مشاهدتها والتجريب عليها.

قواعد المنهج عنده:

دعا إلى إتباع طريقة التحقيق التاريخي للتأكد من صحة الكثير من الأحداث والوقائع الاجتماعية. وذلك من خلال:

الاستزادة من العلم.
التعرف على طبائع العمران البشري.
التشكك كمقدمة لليقين.
التحليل العقلي.
التأكد الحسي.
منطق المقارنة.
منطق التجريب

العصبية والدولة: العصبية هي رابطة الدم والقرابة التي تسعى إلى تكوين الملك السياسي (الدولة) ويرى ابن خلدون أن الدولة تتأسس على:الجماعة، العصبية، الأرض والسلطة. وتمر الدولة بأربعة أطوار:

طور الاستيلاء على السلطة: تكون العصبية قوية، يبقى الحاكم في التصاق كبير مع قبيلته ملبيا كل مطالبهم.

طور تثبيت السلطة: تبدأ مظاهر التباعد بين الحاكم والقبيلة وتبدأ العصبية في الاهتزاز، حيث تلبى مطالب الحاشية والمقربين فقط.

الذروة: يكون فيها التباعد بين الحاكم والقبيلة كبيرا، يزداد الترف والبذخ وتستبدل العصبية بالمال والثروة.(حكم استبدادي)

الانهيار والزوال: حيث يضعف حكم الحاكم بسبب تخليه عن عصبيته وسطوة عصبية أخرى على حكمه.

قانون حركة المجتمعات الإنسانية:

يرى ابن خلدون أن المجتمع يمر بمراحل تاريخية متعاقبة، تتصل كل مرحلة منها بالأخرى، مستخلصا القانون الذي يحكم حركة المجتمعات في ثلاث مراحل:

النشأة (الجيل الأول): يبقى على خلق الخشونة والبداوة والعصبية.

النضج (الجيل الثاني): يتحول إلى الترف والحضارة وتنكسر سَورة العصبية.

والشيخوخة (الجيل الثالث): ينسون عهد البداوة كأن لم يكن ويصبحون عيالا على الدولة. (الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص)

مؤكدا أن المجتمع لا يفنى، بل يكون أساسا لتكون مجتمع جديد.

تقسيم المجتمعات: قسم ابن خلدون المجتمعات إلى بدو وحضر.

البدو: يعتمد في حياته على الأساسيات لضمان العيش والدفء فقط. تسوده بساطة العيش، العلاقات فيه مباشرة، ومتينة، كثافته السكانية قليلة، يعتمد على الزراعة والرعي.

الحضر: يتجاوز الأساسيات للكماليات التي تحيله لحياة الترف، مجتمع معقد، علاقات ضعيفة، كثافة سكانية عالية، يعتمدون على الصناعة والتجارة....

والبدو أكثر ميلا للخير من الحضر، وأكثر شجاعة وخشونة منهم.

وفي مسألة العلاقة بينهما يورد ابن خلدون أن البدو أسبق عن الحضر وأصل له.

أوغست كونت 1798- 1857: **ارتبطت** تسمية علم الاجتماع Sociologie بعالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت 1838، الذي هدف من خلال هذا العلم لإصلاح أوضاع المجتمع من مظاهر الفوضى السائدة فيه. انطلاقا من المنهج الوضعي الذي يبنى على أساسين:

أن تكون الظواهر الاجتماعية خاضعة لقوانين ثابتة ولا تسير حسب مصادفات. (البحث عن القوانين التي تحكم الظواهر)

أن يستطيع الأفراد الوقوف على هذه القوانين لفهم الظواهر فهما علميا.

وهو ما يستدعي قيام علم، سماه في البداية الفيزياء الاجتماعية، يكون كفيلا بالقضاء على الفوضى العقلية والأخلاقية السائدة في المجتمع آنذاك.

وقد عرف كونت علم الإجتماع بأنه: العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر الإجتماعية وجعلها موضوعا للدراسة والتحليل كما تفعل الفيزياء الطبيعية وفروعها المختلفة. ودراسة هذه الظواهر دراسة وضعية علمية، والكشف عن العلاقة بين الظواهر المختلفة

موضوع علم الاجتماع عنده:

الإستاتيكا الإجتماعية: وتعني الإستقرار الإجتماعي. وأهم شيء تركز عليه الإستاتيكا هو النظام في توازنه وانسجامه واتساقه؛ أي الإهتمام بكل ما من شأنه أن يجعل من عناصر المجتمع ومكوناته الرئيسية متساندة فيما بينها، مما يفيد معنى النسق. وعليه، فإن الإستاتيكا الإجتماعية تتجه نحو دراسة عوامل استقرار وانسجام وتوازن النظام العام للمجتمع.

ولقد توصل كونت في تحليله الإستاتيكي إلى أن المجتمع يتكون من ثلاث وحدات رئيسية هي: الأسرة، الجماعات الوسيطة والدولة. وأنه كلما كانت العلاقة بين هذه المكونات علاقة اتساق، زاد ذلك من تماسك البناء الإجتماعي. وأهم مكون في تحليل كونت للنظام الإجتماعي هو الأسرة.

ويرى كونت في تحليله الإستاتيكي، أن المبدأ الأساس الذي يحكم المجتمع ويسطر عليه هو مبدأ التعاون والتضامن؛ لأن هذا المبدأ هو الذي يحقق الإستقرار والبقاء للحياة الإجتماعية.

وبالتالي، فإن الإستاتيكا (الجزء السكوني)، تهتم بدراسة القضايا الموجودة في الحياة الإجتماعية بواقعيتها (كما هي واقعة فعلا في الواقع المعاش)، لذلك كان النظام هو أساس الدراسات الإستاتيكية.

الديناميكا الاجتماعية: وهي علم الحركة الضرورية للإنسانية، أو هي علم قوانين التقدم. وإذا كانت الإستاتيكا تهتم بالنظام واستقراره، فإن الديناميكا تهتم بالتغير والتقدم الإجتماعيين، وبكيفية تطور المجتمع، ومراحل هذا التطور.

وعليه، فإن الوحدة الأساسية التي يركز عليها التحليل الديناميكي تكون أشمل من النظام الذي هو وحدة التحليل الإستاتيكي، وتكون: المجتمع ككل، بما فيه من نظم. والهدف من الدراسة الدينامكية هو الوصول إلى معرفة القوانين التي تحكم تطور وتقدم المجتمعات. ويمكن تقسيم الديناميكا الإجتماعية عند كونت إلى:

قانون تطور المجتمعات الإنسانية:

في ضوء الدراسة الديناميكية للمجتمع، والتي تهتم بالكشف عن خط سير المجتمعات وتطورها، أفاد كونت بأنه توصل إلى ما أسماه " قانون الحالات الثلاث" الذي يرى بأن تفكير العقل البشري قد تدرج من التفكير الديني (اللاهوتي) إلى الفلسفي (الميتافيزقي) لينتهي أخيرا إلى التفكير الوضعي أو العقلي.

والفكر الوضعي عند كونت، هو ذلك الفكر الذي يفسر الظواهر من خلال واقعها المادي القائم على الملاحظة والتجربة.

ويعتقد كونت أن هذه المراحل الثلاث تشكل قانونا لا يمكن لأي مجتمع أن ينفلت منه؛ فالإنسانية جمعاء تمر بهذه المراحل. وقد اعتبر كونت أن التغير الذي تمر به الإنسانية يؤدي إلى تحول المجتمع من حالة إلى أخرى.

لكن كونت لم يتوقف في تحليله للديناميكا عند مفهوم التغير أو قانون الحالات الثلاث، بل تعداه ليبين أن النمو الذي يشهده العقل البشري في التفكير يكون مرافقا **لتقدمٍ في الطبيعة الإنسانية.**

ويتمظهر تقدم البشرية من خلال المظهر المادي والمظهر اللامادي.

التقدم المادي: ويشمل مراحل تبدأ أولها بميل المجتمعات إلى الغزو ثم تحولها إلى الدفاع وأخيرا الصناعة.

التقدم اللامادي (الأخلاقي): ويتدرج من تأكيد الفرد على أسرته إلى تأكيده على دولته ثم تأكيده على الإنسانية أو النوع البشري عموما.

لمعلومات أكثر راجع:

إبراهيم عيسى عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، دار الشروق، ط2، عمان، 2012.

صلاح الدين بسيوني رسلان، السياسة والاقتصاد عند ابن خلدون، بستان المعرفة، مصر، 1999.

عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، 1981

Raymond Aron, Les grandes doctrines de sociologie historique, CDU, Paris

غني ناصر حسين القريش، المداخل النظرية لعلم الاجتماع، دار الصفاء، الأردن، 2011.